

جامعة الكوفة

كلية الفقه

م.د. كريم شاتي السراجي

ظاهرة التطرف الديني دراسة في الأسباب والآثار

المقدمة

امتاز الدين الإسلامي بكونه دين الوسطية والتسامح والرحمة والتيسير ، وهذا ما تؤكدته النصوص القرآنية والنبوية ، إلا أنه في طول تاريخ المسيرة الإسلامية تظهر اتجاهات وتيارات تمتاز بالتشدد والغلو والتطرف.

من هنا أصبح التطرف الديني ظاهرة تشغل بال الكثيرين ، لما لها من آثار دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، ولذلك عكف الباحثون والمفكرون على دراسة هذه الظاهرة الغربية على روح الإسلام وجوهره سعياً للوصول إلى تحديد أسبابها ومعالجاتها معالجة موضوعية. ونظراً لأهمية هذا الموضوع سوف أتناوله بالبحث والدراسة في قسمين القسم الأول دراسة أسباب التطرف الديني ،تناولته في مبحثين الأول ، عنوانه (الجهل) حيث جعلته في مطلبين الأول ،الجهل بحقيقة الإسلام و جوهره، والثاني ، الجهل في قراءة النص الديني أما المبحث الثاني فكان بعنوان (القهر و الحرمان) . إذ تناولته في مطلبين أيضاً ، المطلب الأول القهر والحرمان الداخلي المتمثل بالحكومات والأنظمة ، والثاني القهر والحرمان الخارجي المتمثل بالاستعمار والهيمنة الغربية.

وفي عقيدتي أن المباحث المتقدمة تعد أهم الأسباب المؤدية لظاهرة التطرف الديني لذلك اقتصرت عليها.

القسم الثاني -و الذي يأتي في بحث لاحق- يختص في دراسة آثار التطرف الديني والتطرف من الطرف ، وهو في اللغة معناه منتهى كل شيء ، والطرف هو البعيد ، وطرف الأرض ونواحيها^(١).

واصل التطرف في الحسيات واستعير في المعنويات كالتطرف في الدين^(٢).

(١) ظ: ابن منظور / لسان العرب ٩ / ١٠٧

(٢) ظ: القرضاوي / الصحو الإسلامية / ٢٣ ..

القسم الأول: أسباب ظاهرة التطرف الديني.

المبحث الأول: الجهل

إذا كان الجهل من أهم أسباب نشوء ظاهرة التطرف الديني ، فما الجهل؟ وما حقيقته؟

الجهل في اللغة نقيض العلم^(١) ، وقد أورد الراغب الأصفهاني للجهل ثلاثة معان:

الأول: خلو النفس من العلم ، وهذا هو الأصل.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل ، سواء اعتقد فيه صحيحاً أو فاسداً^(٢).

والمعنى الأول إشارة إلى الجهل البسيط ، أما الثاني فهو إشارة إلى الجهل المركب ، كما عُبر عنه في المنطق^(٣) ، أما الثالث فهو اعم من البسيط والمركب. على ان المعنى الثاني هو اشد أنواع الجهل لان الجاهل غير ملتفت إلى انه جاهل بل يعتقد انه من أهل العلم ، وهذا القسم بشكل المحور الرئيس للتطرف الديني ، من بين أقسام الجهل ، وهو اخطر معاني الجهل ، لان صاحبه يعيش حالة يعتقد فيها انه على الصحيح والصواب وغيره على الخطأ فلا يقبل النصح والحوار ، وقد مثل الخوارج ومن على شاكلتهم على مر العصور هذا القسم في التاريخ خير تمثيل .

وقد أعطى الإسلام أهمية قصوى للعلم والمعرفة من اجل بناء مجتمع صالح ، وحذر من الجهل بكل أشكاله ، واعتبره آفة تهدد ازدهار الإنسانية ، ومصدراً لكل المفاصد الفردية والاجتماعية، بل عُبر عنه في القرآن بأنه مصدر كل شر ، قال تعالى (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ

(١) ظ: الفراهيدي / كتاب العين / ١٥٨ ، الرازي / مختار الصحاح / ٥٧ ، ابن منظور / لسان العرب ٣ / ٢٢٨ .

(٢) ظ: المفردات في غريب القرآن / ١٠٢ .

(٣) ظ: المظفر / المنطق ١ / ٢٠ .

اللَّهُ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (الأنفال/ ٢٢). كما ان الرسول الأكرم(ص) قال لعلي , ((يا علي لا فقر اشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل))^(١).

وورد عن علي جملة أحاديث في هذا المجال منها ((أعظم المصائب الجهل ، وشر المصائب الجهل))^(٢).

, ((لا عدو اضر من الجهل))^(٣) , ((لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً))^(٤).

وأخيراً ما ورد عن الإمام الصادق , انه قال :((لا مصيبة أعظم من الجهل))^(٥). وفي ذلك تأكيد لما ورد عن جده أمير المؤمنين علي, في حديثه المتقدم

إذن : فالإسلام يعتبر الجهل مصدر كل شر وفساد ، وهو من أعظم المصائب والبلايا ، وهذا ما يفسر لنا إسهامه الكبير في إنتاج التطرف والغلو ، سيما إذا اقترن بالتدين والتنسك قال علي , : ((قطع ظهري إلا رجلاً عالماً متهتكاً وجاهلاً متنسكاً))^(٦).

وقال , أيضاً : ((قطع ظهري رجلاً من الدنيا: رجل عليم اللسان فاسق ، ورجل جاهل القلب ناسك هذا يصد بلسانه عن فسقه وهذا بنسكه عن جهله ، فاتقوا الفاسق من العلماء ، والجاهل من المتعبدین أولئك فتنة كل مفتون))^(٧).

بهذه الكلمات الدقيقة شخص الإمام علي , الداء الحقيقي الباعث على تحقيق الفتنة ، التي يعد التطرف من أوضح مصاديقها ، فكان الجهل الممزوج بالتنسك والعبادة هو سببها وعلتها .

(١) الكليني / أصول الكافي / ١٨ ح ٢٥ كتاب العقل والجهل.

(٢) الريشهري / العقل والجهل في الكتاب والسنة / ١٧٩.

(٣) م . ن / ١٨١.

(٤) م . ن / ١٩٧.

(٥) الريشهري / العقل والجهل / ١٧٩.

(٦) ابن أبي جمهور / عوالي اللئالي / ٤ / ٧٧.

(٧) الصدوق / الخصال / ٦٩.

ولكي نقف على هذه المشكلة بشكل واضح ودقيق ،ننتاول الجهل في مطلبين ، الاول:
الجهل بحقيقة الإسلام وجوهره ، والثاني: الجهل في قراءة النص الديني.

المطلب الأول: الجهل في حقيقة الإسلام وجوهره

يعد الإسلام في حقيقته وجوهره وروحه دين الحنيفية السمحاء والسلام والرحمة واليسر والحوار ، إلا إن المتطرفين بجهلهم بهذه الحقيقة ، اتخذوا التشدد والصعوبة والوعورة والغلظة والعنف منهجاً في التعامل مع الآخر والدعوة خلافاً لمنهج القرآن ، وسيرة الرسول الأعظم G التي أكدت على ضرورة الحوار مع هذا الآخر.

فقد جاء في آيات كثيرة من القرآن الكريم ما يدل على هذه الحقائق ، ففي التيسير وعدم التعسير ، قوله تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) البقرة/ ١٨٥ ، وعن السلام والتعايش السلمي ونبذ الحرب ، قوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) يونس / ٢٥ ، يقول ابن منظور في معنى السلام: وكانت العرب في الجاهلية يحيون ويقولون سلام عليكم فكأنه علامة المسالمة وانه لا حرب هناك^(١).

وعن الرحمة وردت آيات كثيرة تتضمن هذا المفهوم ، منها آية البسمة التي تتكرر مع كل سورة باستثناء سورة براءة لأنها نزلت بالسيف في مواجهة الكفر ، ومنه قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء/ ١٠٧ ، وقوله تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) التوبة/ ١٢٨ ، وقوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران/ ١٥٩ ، ولم يذكر القرآن الغلظة والشدّة إلا في موضعين:

١- في قلب المعركة ومواجهة الأعداء ، حيث العسكرية الناجحة والصلابة عند اللقاء ، وعزل مشاعر اللين حتى تضع الحرب أوزارها وفي هذا يقول الله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) التوبة/ ١٢٣.

(١) لسان العرب ٧ / ٢٤١.

٢- في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقيها ، حيث لا مجال لعواطف الرحمة في إقامة حدود الله في أرضه (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) النور/٢(١).

إذ أن هذا العمل يشابه عمل الطبيب الجراح الذي يقتضي عمله الصلابة والجرأة ، لكي يتمكن من إزالة الأورام الخبيثة من جسم المريض ولا يكون ناجحاً في أداء عمله إلا بهذه المواصفات ، وهذه حالة خاصة ينبغي الاقتصار على موردها دون تعميمها على الموارد الأخرى ، إلا أن المتطرفين بجهلهم بحقيقة الدين جعلوا الاستثناء قاعدة والقاعدة استثناء!!

أما عن مفهوم الحوار والجدل والتي هي أحسن ، فان الدين الإسلامي يحمل أعظم واوسع دعوة للحوار والجدل والتي هي أحسن عرفها التاريخ البشري ، فقد جاء في قوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) آل عمران/ ٦٤ ، وقوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) النحل/ ١٢٥.

فهذه دعوة صريحة من القرآن إلى احترام الآخر والحوار معه وان كان على دين آخر أو ليس له دين أصلاً ، فهذه الآيات وغيرها تمثل قواعد أصيلة وأساسية لحقيقة الدين الإسلامي.

أما ما جاء في سيرة الرسول الأكرم G الذي هو ترجمان القرآن فقد ورد عنه G ((بشروا ولا تتفروا ويسروا ولا تعسروا))^(٢) ، ((وما خير رسول الله G بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً))^(٣).

(١) القرضاوي / الصحوة الإسلامية / ٤٠.

(٢) النيسابوري / صحيح مسلم ٥ / ١٤١.

(٣) حسن بن علي السقاف / صحيح شرح العقيدة الطحاوية / ٣٤.

وقد كان G أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه ، ولكنه كان اخف الناس صلاة إذا صلى بالناس مراعيًا ظروفهم وتفاوتهم في الاحتمال ، وقال G ((إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان في الناس الضعيف والسقيم وذا الحاجة))^(١).

وكان G كثير الرحمة مع العدو والصديق والقريب والبعيد وقد كان ما كان منه عندما دخل مكة فاتحاً فقال مقولته المشهورة اذهبوا فانتم الطلقاء ، وعفى عنهم وقد كان هؤلاء اشد الناس عداوة وايداءاً له ولدعوته وأصحابه ، حتى عندما دخلها كان سعد بن عبادة الانصاري ينادي اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة ، فوقف رسول الله G ونادى اليوم يوم الرحمة واليوم اعز الله قريشاً ، وأرسل علياً إلى سعد ليأخذ اللواء منه ويدخل مكة^(٢).

وعلى الرغم من وضوح هذه الحقائق إلا إن المتشددين والمتطرفين لا يدركون هذه الحقائق بجلهم بحقيقة الإسلام وسيرة الرسول G. لذلك ورد عن جماعة في عهد رسول الله G إنهم رفضوا الدنيا وتركوا النساء وترهبوا ، فقام الرسول G فغلظ فيهم ثم قال: ((إنما هلك من كان قبلكم بالتشدد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع...))^(٣).

والقرآن الكريم يصرح بهذه الحقيقة: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) الحديد / ٢٧.

فعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة في القرآن وسيرة الرسول G إلا أن هؤلاء بجهلهم سلكوا طريق الرهبانية واعتزلوا العمل والحياة والأزواج!!

وقد ورد عنه G عندما بلغه أن رهطاً من الصحابة قالوا نقطع من مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان ، فأرسل إليهم G فذكر لهم ذلك فقالوا:

(١) النيسابوري / صحيح مسلم ٢ / ٤٧.

(٢) هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى / ٥٨٤.

(٣) السيوطي / الدر المنثور ٢ / ٥٤٥.

نعم ، فقال النبي G: لكنني أصوم وافطر واصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني^(١).

هذا هو الدين الذي مثله الرسول الأكرم G دين الطبيعة وعدم التكلف والتشدد ، الا ان هؤلاء المتشدددين المتطرفين - لسوء فهمهم بحقيقة الدين - تركوا ما هو من الدين ، فالمتطرفون يتشددون ويغالون في مسائل وأحكام لا ينبغي التشدد فيها ، وفي ذلك الصدد يقول الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر: ((ومن الغلو في الدين وفي الأحكام الشرعية التعصب المذهبي أو التعصب للرأي مع وجود مذاهب أخرى معتبرة كهؤلاء المغالين في أحكام اللباس والزينة وفي إحكام الطهارة الحسية وفي إحكام ما يقص وما يعفى وكظاهر الاقتداء بالرسول G في طريقة آكله وشربه ولباسه ومعاشه ومشيه ، مع ان هؤلاء الغلاة كثيراً ما يتهاونون في أمور الكبائر المجمع على تحريمها ولا يحذرون الناس منها كالقذف والحسد والغيبة والنميمة وشهادة الزور والكذب وإثارة الفتن))^(٢).

كما أن القرضاوي يؤكد بأنه: ((قد راعني أن وجدت بعض الشباب المخلصين من بعض الجماعات الإسلامية في أمريكا قد أثاروا جدلاً عنيفاً في احد المراكز الإسلامية لان المسلمين يجلسون على الكراسي في محاضرات السبت والأحد ولا يجلسون على الحصير أو السجاد كما يجلس أهل المسجد ولأنهم لا يتجهون في جلوسهم إلى القبلة كما هو أدب المسلم وإنهم يلبسون البنطلونات لا الجلابيب البيض ويأكلون على المناضد لا على الأرض))^(٣).

إن المتأمل في هذين النصين يرى بشكل واضح الجهل بحقيقة الإسلام وجوهره ومبادئه وقواعده الأصيلة التي تجعل منه صالحاً لكل زمان ومكان ، وقد أشارت إلى هذه الخصيصة

(١) السيوطي / الدر المنثور ٢ / ٥٤٤.

(٢) النبي في القرآن / ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) الصوحة الإسلامية / ٣٩.

إحدى بنود المؤتمر الدولي للقوانين في لاهاي بهولندا عام ١٩٧٣م إن ((الشريعة الإسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية))^(١).

(١) محمد الغزالي / كيف نفهم الإسلام / ١٦٣ - ١٦٤.

المبحث الأول

المطلب الثاني: الجهل في قراءة النص الديني

إن قراءة النص الديني تتوقف على مجموعة من الأدوات لا بد من أن يتوافر عليها الباحث و القارئ للنص الديني ، وبدون هذه الأدوات لا يمكن قراءة النص قراءة صحيحة تكشف عن مكنونه بدرجة ما ، ومن هذه الأدوات معرفة المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد ، والقواعد والأصول العامة للدين الإسلامي ، فضلا عن معرفة عالية باللغة العربية، كونها لغة القرآن والحديث الشريف.

بيد أن الفاقد لهذه الأدوات المعرفية لا يمكن له إدراك مغزى النصوص الدينية وفهمها على حقيقتها ، حتى يتسنى له استنباط الحكم الصحيح . إن افتقاد الذوق الفقهي واليات الاستنباط وقواعده يعرض الشخص للوقوع في القراءة الخاطئة للنص الديني لا محالة ، مما يعني عدم القدرة على فقهه.

إن عدم التمييز بين المحكم والمتشابه والسطحية في التعامل مع النص والتسرع في الحكم ، كل ذلك كانت وراء وقوع كثير من الأحكام المتطرفة التكفيرية على طول التاريخ . وخير مثال على ذلك الخوارج الذين كفروا من عداهم من المسلمين وقتلوا وكفروا إمامهم وخليفته علي بن أبي طالب G ، وما هذا إلا نتيجة جهلهم في قراءة الآية القرآنية (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) الانعام/ ٥٧ ، معتمدين على ظاهرها من دون تعمق في مدلولها وحقيقتها ، ((وكان رد الإمام عليهم بكلمته الشهيرة كلمة حق يراد بها باطل، ذلك أن رد الحكم إلى الله وحده لا يعني إبطال تحكيم البشر في القضايا الجزئية التي يتنازع الناس فيها ما دام تحكيمهم في إطار حكم الله وتشريعه ، وقد ناقش حبر الأمة عبد الله بن عباس هؤلاء القوم وحجهم بما في كتاب الله من صور التحكيم ، من ذلك التحكيم بين الزوجين لحل عقدة الخلاف بينهما: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) النساء/ ٣٥))^(١).

(١) القرضاوي / الصحوة الإسلامية / ٦٨ - ٦٩ .

إن مشكلة الخوارج في التاريخ متكررة في كل زمان من حيث التعامل مع ظاهر النص الديني من دون أدوات تعصم من الوقوع في الخطأ ، كالتعامل مع المتشابه وكأنه من المحكمات كما في هذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) المائدة/ ٤٤ .

فقد حكم الخوارج والجماعات الإسلامية المتطرفة من خلال هذه الآية على جميع المسلمين بالكفر الأكبر المخرج من الملة.

وقد وصف الرسول G الخوارج بعلامات منها: ((يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان))^(١).

((وهذه العلامة هي التي جعلت احد العلماء حين وقع مرة في يد بعض الخوارج ، فسأله عن هويته ، فقال مشرك مستجير يريد إن يسمع كلام الله وهنا قالوا له حق علينا ان نجبرك ونبلعك مأمناك وتلوا قوله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) التوبة/ ٦ ، بهذه الكلمات نجا مشرك مستجير!! ولو قال لهم مسلم لقطعوا رأسه!

وما وقع لطائفة الخوارج قديماً وقع لإخلافهم حديثاً واعني بهم من سموهم جماعة التكفير والهجرة فهم يكفرون كل من ارتكب معصية وأصر عليها ولم يتب منها وهم يكفرون الحكام لأنهم لم يحكموا بما انزل الله ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بهم وتابعوهم على الحكم بغير ما انزل الله وهم يكفرون علماء الدين وغيرهم لأنهم لا يكفروا الحكام والمحكومين ومن لم يكفر الكافر فهو كافر))^(٢).

إن هذا الخلط وعدم التمييز والفهم للمصطلحات الإسلامية العقديّة كالكفر الأكبر والأصغر والإيمان والإسلام والنفاق والجاهلية والشرك ونحوها كل ذلك أدى بهذه المجموعات إلى إن يحكموا بالكفر على غالبية المسلمين.

(١) النيسابوري / صحيح مسلم ٣ / ١٠٥ باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) القرضاوي / ٤٦ - ٤٧ .

وبهذا الصدد يقول القرضاوي: ((إن قوماً لم يتذوقوا اللغة ولم يدركوا أسرارها خلطوا في هذه المفاهيم بين الحقيقة والمجاز فاختلفت عليهم الأمور ، والتبست عليهم السبل واضطربت الموازين ، أنهم لم يفرقوا بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان ، وبين الإسلام الكامل مجرد الإسلام ولم يميزوا بين الكفر الأكبر المخرج عن الملة وكفر المعصية ولا بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر ولا بين نفاق العقيدة ونفاق العمل ، وجعلوا جاهلية الخلق والسلوك كجاهلية العقيدة سواء))^(١).

ثم إن النظرة التجزيئية للنصوص والمجهود على ظواهرها كان له الأثر الواضح في عدم قراءة النص الديني قراءة صحيحة ، إن قراءة النص الديني بمعزل عن النصوص الأخرى تؤدي إلى استنتاج حكم غير صحيح وذلك لوجود حالة الترابط بين النصوص الدينية، فبعضها عام لا يمكن الحكم من خلاله إلا بعد الوقوف على المخصص والمستثنى منه كما في عموم حرمة الربا في الإسلام ، فقد خص واستثنى منه حرمة الربا بين الوالد وولده ، وأمثال ذلك كثير في الفقه.

ورأى أحد المتطرفين رجلاً يشرب الماء قائماً فزجره بعنف ، وقال له أقعد فقد خالفت السنة^(٢). مع إن المسألة خلافية فبعض الروايات تجوز وبعضها ينهى ، والقاعدة هنا تقتضي حمل النهي على الكراهية جمعاً بين الأدلة (قاعدة الجمع العرفي) إلا إن التطفل على الاختصاص والإفتاء وإبداء الرأي دون علم ، لعدم الاعتماد على مقدمات صحيحة من قبل بعض المتصدين للدعوة الإسلامية أدى بهم إلى تشريع أحكام ما أنزل الله بها من سلطان ، فحرموا حلال الله واحلوا حرامه ، وجعلوا الكفر الأصغر كالكفر الأكبر ، والمسلم كالكافر.

وبهذا الصدد يقول الدكتور محمد رفعت زنجير: ((والعلوم إنما هي صناعات لها أربابها فلا يمكن لأي واحد من الناس مثلاً إن يدلي برأيه في الطب والهندسة إذا لم يتعلم فن الطب وممارسته أو فن الهندسة وتطبيقاته، وكذلك الأمر بالنسبة إلى علوم الدين))^(٣).

(١) القرضاوي / ٦٢.

(٢) م.ن / ٦٠.

(٣) اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر / ٣.

المبحث الثاني: القهر والحرمان

إن القهر والحرمان لا يقل أهمية عن الجهل في إذكاء روح التطرف ، لأنه يزرع في كيان المقهور والمحروم من الأحقاد والإضغان ما تجعله كالبركان يتفجر إذا توفرت الظروف المناسبة ، إذ أن شدة الضغط تولد الانفجار ، وكثرة الطرق تفك الأغلال.

والقهر في اللغة يعني الغلبة والتذليل ، والأخذ من غير رضاهم. والأخذ من فوقهم^(١).

إما الحرمان فهو من الحرام، وهو الممنوع منه بمنع قهري^(٢).

والقهر والحرمان قد وقع على المجتمع المسلم بطريقتين ، الداخلي المتمثل بالحكام والأنظمة ، والخارجي الدولي المتمثل بالنظام العالمي الغربي ، وسوف أتناول في هذا المبحث هذين النوعين من القهر والحرمان اللذين لهما الأثر الواضح في الدفع باتجاه التطرف والغلو داخل المجتمع المسلم.

(١) ظ: الفراهيدي /كتاب العين / ٦٩٥ ، الراغب / المفردات / ٤١٤.

(٢) ظ: الراغب / المفردات / ١١٤.

المبحث الثاني: القهر و الحرمان

المطلب الأول: الحكومات والأنظمة (الداخلي)

إن حالة التسلط والتفرعن من قبل الحكام وحرمان الأمة من حقها الديني والسياسي الذي تمثل في إقصاء الإسلام عن الحكم ، وانتهاج المنهج الوضعي في التشريع ، واستشرى الفساد الأخلاقي ، وشيوع الفاحشة والمنكر بتشجيع من قبل الحكومات بطرق شتى منها الإعلام المكتوب والمرئي الذي يشرعن ما حُرّم والمسلم المتدين يشعر بتعذيب الضمير حيث انه يعيش حالة من الازدواجية بين عقيدته وبين الواقع الذي يعيشه حيث انه يرى الإسلام – دين الشريعة والحياة القابل للتطبيق في كل زمان ومكان – مقهوراً مطروداً مسجوناً من قبل الحكام.

إن هذا التقاطع بين عقيدة الإنسان المسلم المتدين وبين منهج الحكومات أدى إلى حالة رفض وتمرد من قبل الشباب المسلم. إلا إن الحكومات كانت متعسفة وظالمة فعملت على قمع تلك الأصوات ومصادرتها بشتى الطرق فصودرت الحريات وكملت الأفواه وزجت الناس في السجون والمعتقلات حيث التعذيب البدني والنفسي الرهيب هذا المنهج بطبيعته ينتج منهجاً مجانساً له حسب القانون الطبيعي لكل فعل رد فعل وعادة رد الفعل يكون غير منضبط وهذا ما حصل فقد نتج عن هذا القهر والحرمان التطرف والغلو والعنف والعمل السري ((إن الدعوة الإسلامية كالماء القوي الدافق لا بد إن تجد لها مجرى ولو بين الصخور ، وإذا لم تفتح الأبواب والنوافذ إمام هذه الدعوة علانية فلا بد إن تبحث لها عن سراديب تحت الأرض ، حيث يسود الظلام وتلتبس الرؤية ويجد الغلو طريقة إلى الأنفس والعقول دون أن تجد من يصوب لها خطأها ويردها إلى سواء السبيل))^(١).

إن الحكام كثيراً ما يتخذون مواقف أو يتصرفون تصرفات من شأنها إن تستثير الجماعات الإسلامية وتحملهم على اتخاذ مواقف التربص والعداء ، فما حصل في الجزائر عندما وصل الإسلاميون عن طريق الانتخابات إلى الحكم وكان من حقهم أن يتمموا

(١) البوطي / الجهاد في الإسلام / ١٧٨.

تجربتهم الديمقراطية هذه، لولا أن التدخل العسكري اقتحم الموقف فحال بينهم وبين إتمام التجربة^(١).

وبالتأكيد إن هذا القهر والحرمان من حق الوصول للحكم عن طريق السبل الشرعية، سوف يؤدي إلى اتخاذ وسائل غير مشروعة في الوصول إلى الحكم وهذه الوسائل تعني التطرف والعنف والإرهاب في استرجاع الحقوق المهضومة.

وهذه تركيا التي كانت داراً للخلافة عدة قرون والإسلام دين ٩٩٪ من سكانها أصبحت دولة لا دينية تعمل على إقصاء الإسلام ومحاربته بكل الوسائل حتى أن زعيم حزب شعبي كان نائباً لرئيس الوزراء خرج من الوزارة إلى السجن وقدم هو وأنصاره إلى المحاكمة بتهمة الدعوة إلى الإسلام وإلى تحكيم الشريعة فيه!!^(٢)

فماذا يصنع الإنسان المسلم الذي يريد أن يعيش وفقاً لعقيدته في مثل هذه الأجواء فإنه لا يجد أمامه إلا المنظمات السرية التي معها يتنفس التطرف والغلو بأعلى درجاته.

وبهذا الصدد يقول احد قادة التنظيمات السرية المتطرفة: ((إن الحكم القائم اليوم في جميع بلاد الإسلام هو حكم كافر فلا شك في ذلك ، والمجتمعات في هذه البلاد كلها مجتمعات جاهلية))^(٣).

هذا من الجانب الديني والسياسي إما على المستوى الاقتصادي فللقهر والحرمان من قبل الحكومات أثره الكبير في توليد وإنتاج التطرف الديني حيث يرى الإنسان المسلم التفاوت الطبقي الفاحش بين السواد الأعظم من الناس وبين حكامه ومن يدور في فلكهم ، إذ أن أفراد قلائل تتحكم بمقدرات الأمة ، فالأرصدة في البنوك الأجنبية والقصور الفارهة والأموال تصرف بسخاء على طاولات القمار وتحت أرجل الراقصات في النوادي الليلية ، وعموم الناس تعيش حالة الفقر والحاجة والبطالة ، ومع هذه الحالة يشعر الإنسان بالمهانة والحق

(١) البوطي / الجهاد في الإسلام / ١٧٨ .

(٢) القرضاوي / الصحوة الإسلامية / ٩٧ .

(٣) عبد الرحمن اللويحي / مشكلة الغلو ٢ / ٤٣٨ .

المسلوب والقسمة الظالمة التي تتولد معها حالات من النعمة والتمرد والغضب ومعه يخرج الإنسان عن طوره وطبيعته واعتداله إلى حالة التطرف والغلو.

والإنسان بطبيعته وفطرته يدافع عن نفسه ، وبالتالي فان حقوقه المسلوبة تحفزّه على التوسل بكل طريق لاستردادها.

وقد عد بعض الباحثين جملة من أحداث العنف ذات العلاقة بالجوانب الاقتصادية خلال إحدى عشرة سنة تقريباً ما بين عام ١٩٧٧م – ١٩٨٨م فأشار إلى انتفاضات كبيرة في مصر والسودان وتونس والمغرب والجزائر والأردن^(١).

وقد أشار مجموعة من الباحثين إلى أن اغلب أعضاء التنظيمات المتطرفة ينتمون إلى الطبقات الوسطى والدنيا وذلك لان تلك الطبقات هي التي تعاني أكثر من غيرها من جراء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية مما يؤدي إلى زيادة احباطاتهم^(٢).

وعليه فالقهر والحرمان من الحقوق الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية من قبل الحكومات والأنظمة لها اثر كبير في تكون ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات الإسلامية.

(١) عبد الرحمن اللويحي / مشكلة الغلو / ٥٣٧.

(٢) ظ: حسنين توفيق إبراهيم / ظاهرة العنف السياسي / ١٤٢ ، سمير نعيم احمد / محددات التطرف الديني / ١٢٠ – ١٢٣ ، سعد الدين إبراهيم / مصر تراجع نفسها / ٢٦.

المبحث الثاني

المطلب الثاني: النظام العالمي الغربي (الخارجي)

لقد ساهم النظام العالمي المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية الغربية في قهر وحرمان العالم الإسلامي وتمثل هذا القهر والحرمان بالاحتلال العسكري المباشر أو الاحتلال غير المباشر من خلال إدارة البلاد الإسلامية بحكومات عميلة مرتبطة بهم ، وقد مارسوا عملية الإذلال للأمة ونهب خيراتها ، والعمل على مسخ هويتها الإسلامية بطرق شتى منها إنكاء روح القوميات ومحاولة إحياء التراث الوثني للأمة الإسلامية بعنوان الحضارات القديمة كما حصل في مصر حيث أخذت الدراسات والحملات الإعلامية الكبيرة توجه باتجاه إحياء التراث الفرعوني ، وفي إيران إحياء الحضارة الفارسية وفي العراق السومرية والأشورية ، والفينيقية في سوريا وفلسطين والبربرية في المغرب العربي^(١).

ثم أن هذا النظام العالمي هو الذي كان وراء زرع الكيان الصهيوني الغاصب في قلب الأمة الإسلامية ومساعدته بكل الاتجاهات حتى أصبح مركز قوة في المنطقة تمثل مصالح الغرب.

وقد استحوذت الدول الكبرى على المنظمات الدولية وجعلتها في خدمة القضية الصهيونية وضد مصالح المسلمين وآمالهم أينما كانوا.

وفي الوقت ذاته إن هذا النظام سعى بكل قوة في الحيلولة دون قيام دولة في العالم الإسلامي منهجها الإسلام والقرآن ولذلك أصبح هذا النظام يمثل العدو الأول للمسلمين واخذ الإنسان المسلم يمتلئ غيظاً وكرهاً له لأنه يعادي آماله وتطلعاته المشروعة في الحياة.

ومعه يصبح الإنسان المسلم مهياً لكل فكر يجنده لضرب المصالح الغربية وتحت أي لواء كان ، وبهذا الصدد يقول الدكتور محمد عمارة: ((ظاهرة العنف تتصاعد في مجتمعاتنا بتصاعد هيمنة الغرب والنموذج الغربي وبعد هزيمة ١٩٦٧م وتغلغل المشروع الصهيوني

(١) ظ: عبد الرحمن اللويحي / مشكلة الغلو في الدين ٢ / ٥٦٦.

ومعه النموذج الغربي في أحشاء الأمة تنامت الظاهرة وانتشرت ولم تولد كما يدعي البعض اليوم ، وفي ظل النظام العالمي الجديد وتساعد هيمنة الغرب من المتوقع إن تتصاعد ظاهرة العنف المنظم وتزداد انتشاراً^(١).

إن التطرف والعنف الذي تنامي في العالم الإسلامية يستمد مقوماته من عناصر عدة داخلية متمثلة بالجهل والحرمان من الحقوق المشروعة وخارجية متمثلة بهذا العدوان السافر تجاه قضاياه وحقوقه المشروعة من قبل الغرب الظالم.

يقول احد الباحثين: العنف ليس ظاهرة وقتية أو استثنائية ، وإنما هو ظاهرة تستمد مقوماتها من عناصر عدة اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية يؤدي تقاطعها مع عناصر آخر إقليمية ودولية إلى اشتعالها وتفجرها ، وعلى سبيل المثال فإن ملء الاعتقاد بعقيدة الولاء والبراءة من المشاركين حين يقابل المشروع الاستعماري الغربي وبخاصة الأميركي ولاسيما في أفغانستان والعراق تصبح عناصر الاحتراق ناشطة ومعادلة العنف مكتملة ، بالتنشئة الدينية تبقى كامنة وغير فاعلة بدرجة كافية ما لم تجد في طريقها ما يوجب نشاطها ، تماماً كما أن الفقر قد يكون محتملاً ، ما لم يلح المحرومون نعمة دالة على حق مضيع ، وبيوت الصفيح تتفجر غضباً حين تشيد بالقرب منها القصور الفارهة ، فالأضداد تلعب دور المحرضات غير المباشرة لنشوء ردود أفعال قد تتبلور في هيئة ظاهرة راديكالية منظمة^(٢).

(١) عمرو عبد السميع / المتطرفون ندوات ودوائر حوار / ١٨ .

(٢) فؤاد إبراهيم / السلفية الجهادية في السعودية / ٨٥ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم (خير ما يبدأ به)

- ابن أبي جمهور الاحسائي (ت: ٨٨٠هـ)
- ١- عوالي اللئالي ، تحقيق مجتبى العراقي ، سيد الشهداء ، قم ، ط ١ ١٩٨٥ م.
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت: ٧١١هـ).
- ٢- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ط ١ ٢٠٠٠ م.
- البوطي / محمد سعيد رمضان.
- ٣- الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ دار الفكر ، دمشق ط ٢ ٢٠٠١ م.
- حسنين توفيق إبراهيم
- ٤- ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية سلسلة أطروحات الدكتوراة (١٧) مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط ١ ١٩٩٢ م.
- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ)
- ٥- مختار الصحاح ، ترتيب ، محمود خاطر ، دار الفكر ، بيروت ط ١ ١٩٩٨ م.
- الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)
- ٦- المفردات في غريب القرآن ، المطبعة الميمنية ، مصر ط ١ ١٣٢٤هـ.
- الريشهري ، محمد
- ٧- العقل والجهل في الكتاب والسنة ، تحقيق ، دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ٢٠٠٠ م.
- سعد الدين إبراهيم
- ٨- مصر تراجع نفسها ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ط ١ ١٩٨٣ م.
- سمير نعيم احمد
- ٩- محددات التطرف الديني في مصر ، (مقال) مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز الوحدة العربية ، بيروت عدد (٣) ١٩٩٠ م.

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)
- ١٠- الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار لكتب العلمية ، بيروت ط ٢ ٢٠٠٤م.
- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين أَلَمِي (ت: ٣٨١هـ)
- ١١- الخصال ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ١٩٧١م.
- عبد الرحمن اللويحي
- ١٢- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ٢ ٢٠٠٦م.
- علي جاد الحق
- ١٣- النبي في القرآن ، منشورات الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية ، الأزهر الشريف ، القاهرة ١٩٩١م.
- عمرو عبد السميع
- ١٤- المتطرفون ندوات ودوائر حوار ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٣م.
- الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت: ١٧٥هـ)
- ١٥- كتاب العين ، إعداد وتقديم ، حمد حسن بكائي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ط ١ ١٤١٤هـ.
- فؤاد إبراهيم
- ١٦- السلفية الجهادية في السعودية ، دار الساقى ، بيروت ط ١ ٢٠٠٩م.
- القرضاوي ، الدكتور يوسف
- ١٧- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، دار الشروق ط ١ ٢٠٠١م.
- الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨هـ)
- ١٨- أصول الكافي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ط ١ ٢٠٠٥م.
- محمد رفعت زنجير
- ١٩- اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت.
- محمد الغزالي
- ٢٠- كيف نفهم الإسلام ، دار القلم ، دمشق ط ١ ٢٠٠٠م.

- المظفر ، الشيخ محمد رضا (ت: ١٩٦٤م)
- ٢١- المنطق ، دار التعارف ، بيروت ط ٣ ١٩٨٠م.
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)
- ٢٢- صحيح مسلم ، دار الفكر ، بيروت.
- هاشم معروف الحسني
- ٢٣- سيرة المصطفى ، دار الكوفي ، ٢٠٠٨م.

Abstract

The religious extremism became a phenomena that attract the attention of so many people due to its religious social political and economic effects hence the researchers tried hardly to study this phenomena that refuses to define its motives and to treat it objectively

Due to the subject importance , the researcher deal with it within two parts :

The first one is devoted to study the religious extremism , it includes two topics ; The first one the ignorance of Islam and its essence , the ignorance of reading the religious texts. The second topic is in entitled oppression and deprivation , it also includes two topics the eternal oppression and deprivation that is represented by the governments and the systems , and the external oppression and deprivation which is represented by the western domination .

According to my doctrine the previous topics are considered as the most important reasons that resulted in the religious extremism ,so the research is restricted to them.

The second part, wich will studied in a separated research is devoted to effets of the religious extremism